الأسطورة الأدبية فن ورسالة

د. عائشة عبد الحميد المبقع
الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا

ملخص البحث

هدفت الدراسة إلى تشخيص الأسطورة الأدبية ليس بعدًها منتجا ذا قيم جمالية وحسب، بل تجلي قيمها الفنية والرسالة التي تنشدها. إذ إن النظرة لها تكون من نوع النظرة إلى العناصر الثقافية المنبثقة من الحضارات الإنسانية التي لها أهمية في تقويم المجتمعات. اعتمدت دراسة الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي؛ لوصف الظاهرة وتحليلها باستنتاجات وأحكام تعلل طبيعة توظيفها في الأدب. ومن نتائج الدراسة إن محور الأسطورة الأدبية يكمن في الانتقال من التعبير عن الأسطورة بنصها الأولي، إلى التعبير بالأسطورة بنصها الأدبي. تكسب اللغة الأسطورية النص الأدبي دلالات إضافية جديدة ما كان للنص الأدبي ليحملها لولا استدعاء الموروث الأسطوري الجديد برؤيته، وبالتالي تزيد من فرص طرح الرؤى والدلالات الفنية الجديدة. إن النظرة الحديثة للأسطورة الأدبية تقوم على مدى ما فيها من معاناة لما يدور في الحياة بكل ظروفها الاجتماعية والتاريخية، وما في حياة الإنسان من أحاسيس تترجم الواقع والأحداث التي يعيشها في كنف واقعه العام بما يساير العصر من مفاهيم متحكمة في مجريات الحياة، وما يتواجد فيها من صور أو تصورات مثلى للنموذج الذي يتوخاه الإنسان، ويستخدمه الأديب الحداثي للتعبير عن هذا الإنسان، مؤكدة ارتباط الأديب بالحضارات الإنسانية إلهاما، متصلة مع بيئته

ومجتمعه إبداعا، حتى أصبحت الأسطورة الأدبية تتجلى في تعميق المفاهيم الإنسانية وأصالتها وقضاياها بعناصر أسطورية.

الكلمات المفتاحية (الأسطورة الأدبية، الأسطورة الأولية، التوظيف الأدبي، محور الأسطورة)

The Literary Myth "Art & Message"

Aisha Abdelhamed Almbaga

Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Asmariah Islamic University, Libya

Abstract

The study aimed to diagnose literary myth not only as a product with aesthetic values, but also as a manifestation of its artistic values and the message it seeks. Their perception is of the kind of perception of cultural elements emanating from human civilizations that are important in the calendar of societies. The researcher's study relied on the analytical descriptive curriculum; to describe and analyse the phenomenon with conclusions and provisions explaining the nature of its employment in literature. One of the findings of the study is that the focus of the literary myth is to move from the expression of the myth in its initial text, to the expression of the myth in its literary text. Mythical language earns new additional connotations that the literary text would not have carried without inviting the new mythical heirloom to his vision, thereby increasing the chances of introducing new

insights and artistic connotations. The modern view of literary myth is based on the extent of the suffering of life in all its social and historical circumstances. and the feelings in human life that translate reality and events into its general realities in keeping with today's dominant concepts in the course of life, Optimal images or perceptions of man's model and used by modernist disciplines to express this human being, affirming the discipline's attachment to human civilizations as inspiration moral myth is reflected in the deepening of humanity's concepts, authenticity and issues with mythical elements.

KEYWORDS (literary myth, preliminary myth, literary recruitment, axis of myth)

المقدمة

لقد أثارت الأسطورة فضول الأديب، وملأت فضاءه بالدهشة وهو في خضم البحث عن مكنوناتها. ومن هنا ازدادت الأسطورة ارتباطا والتصاقا بالأدب التي "كانت في مراحلها الأولى أقرب إلى السرد القصصي الذي يقوم على إثارة الدهشة فينا، وفي مراحل متقدمة للأسطورة والأدب أصبحت النظرة لكليهما أكثر اتساعا بعدهما نموذج يخفي في طياته معنى، وهنا اقتربت

الأسطورة من الشكل الأدبي، وبدأت تتشكل بعيدا عن المضمون الأسطوري الأولي المسلم به سلفا" (شاهين، 1996).

إن طبيعة العلاقة بين الأدب كفن تعبيري، والأسطورة كموروث حضاري لبذرة فكر بدائي، وتوطيد الصلة الوثيقة بينهما في العصر الحديث بعدهما نشاطا فكريا يهدف إلى إحداث توازن بين ذات الإنسان والموجودات المحيطة به. وذلك بتتبع العوامل التي ساهمت بشكل فعال في توظيف نصي للأسطورة داخل نسيج العمل الأدبي، والتعرف على طبيعة العوامل الفنية، والعوامل كأنماط عامة وثقت صلة الأديب العربي بالموروث الأسطوري. وتضمن أغراض توظيف الأسطورة داخل نسيج النص، وتجلي قيمتها الفنية والجمالية لتكون رؤية إبداعية لها رسالة ثقافية، بتضمين مدعم بعرض تفسير الأدباء والنقاد الذين وظفوا الأسطورة في آثارهم الأدبية، وفي تشكيل الخطاب الأدبي. صياغة الأسطورة صياغة أدبية من حيث الشخصيات والحبكة والملاحم والحدث والزمن والمكان. يتأتى ذلك بعد الإدراك الجمالي للأسطورة التي تعد من مرتكزات الأدب الحديث، وذلك ببناء وإعادة بناء لكل أجزائها التي تكونها بتلمس تقنيات آلية كإشارات ضوئية توظف من خلالها الأسطورة في النص الأدبي لغرض توليد نص أدبي من نص الأسطورة الأولي في حداثة مطاوعة للتجديد. ويتجلى التوظيف في تداخل تيمات الأسطورة مع الأجناس الأدبية لتمتزج مع روح الشعر، وعمق الرواية، وعبق المسرح وصخبه. فتظهر قدرة الأدب على محاكاة العصر بأبعاد أسطورية في قالب واسع يدخل في بناء النص الأدبي بشقيه الشعري والنثري.

أهداف الدراسة

تشخيص الأسطورة الأدبية ليس بعدًها منتجا ذا قيم جمالية وحسب، بل تجلي قيمها الفنية والرسالة التي تنشدها. إذ إن النظرة لها تكون من نوع النظرة إلى العناصر الثقافية المنبثقة من الحضارات الإنسانية التي لها أهمية في تقويم المجتمعات.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في الفجوة التي تحدثها آليات التوظيف الأدبي للأساطير الحضارية، لتكوين الأسطورة الأدبية التي لها هدف ورسالة. وفي مدى مراعاة الأديب لثقافة المتلقي وعدم زجه وإقحامه في غموض الشخصيات الأسطورية وأحداثها الغابرة. وبالتالي في كيفية تعامل الأديب لسد هذه الفجوة بترك بصمات من الحيوية والبهجة في النص الأدبي. وبالتالي تحقق الغاية المنشودة من توظيفها، والرسالة التي تهدف لها. إذ تزداد المشكلة عمقا في آلية التوظيف الفني للأساطير، والأبعاد الفنية والجمالية التي أكسبتها للنصوص الأدبية.

منهج الدراسة

اعتمدت دراسة الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي منهجا للدراسة؛ لوصف الظاهرة وتحليلها باستنتاجات وأحكام تعلل طبيعة توظيفها في الأدب؛ وذلك لدراسة التشكيل الفني داخل ثنايا النص الأدبي، بعده النسق الذي يفجر الدلالة الأسطورية.

المبحث الأول: علاقة الأسطورة بالأدب

إن ولادة الأسطورة في البيئة الإنسانية تحدو حدوا الغموض والمجهول كما الأدب، وبدت صلة الأدب بالأسطورة وثيقة منذ أقدم العصور فهي قد عرفت

الإنسان بالحضارات الإنسانية عند مختلف الأمم. وفي العصر الحديث تطورت نظرة الأدباء للأسطورة وخرجت من عالم عجائبي يسوده الخوارق، قدسي غير حقيقي وظيفته التعليل والتفسير، إلى منظور جمالي وفني يضفي على النص الأدبي رونقا وأصالة، مشكلا هذا التغير في النظرة البدايات الأولى للعمل الفني الإبداعي. فالأسطورة تدخل من باب الفن والأدب؛ لذا "عاشت الأسطورة منذ القدم جنبا إلى جنب مع الأدب، واستحال فصل الأدب والفن والتاريخ عن الأسطورة" (أبو علي، 1994، 66). حيث يبتكر الأديب من خلالها نتاجات أدبية لها طبيعتها وغايتها، فكانت مجالا مؤثرا في العملية الإبداعية؛ لغناها بالرموز التي تعكس ثورة فكرية وفنية متوسمة بطابع التخيل، تجذب المتلقي إلى ميدانها الزئبقي، وتستهوي الأدباء إلى عالمها السرمدي. حيث تلتقي الأسطورة مع الأدب من النواحي الشكلية ومن الناحية النفسية، ومن الناحية التاريخية، ومن الناحية الثقافية، ومن ناحية الموضوع" فمن الناحية الشكلية تشترك الأسطورة مع الأدب في ملامح الحبكة والشخصية والموضوع واستخدام الخيال والرمز والصورة. ومن الناحية النفسية تعتمد الأسطورة على الذاكرة الجماعية المتمثلة في الانزياح والتناص كما الأدب في توارد الأفكار وعما يجول داخل النفس البشرية. وقد يستمد الأدب من الطقس والأسطورة وهي طرق الإنسان التقليدية الأصلية للاستجابة إلى الواقع، ومن الناحية التاريخية تعمل الأسطورة كثيرا كمصدر مؤثر، أو نموذج للأدب، ومن الناحية الثقافية الأسطورة والأدب لهما وظيفة السرد والقصص كوسيلة للمعرفة والعظة والحكمة، ومن ناحية الموضوع انشغال الأدب والأسطورة بموضوعات تعني فكر الإنسان وأصل العالم" (الكومي، 2004). وبهذا فإن الأسطورة والأدب يعدان نشاطا فكريا يهدف إلى "إحداث توازن بين ذات الإنسان

والموجودات المحيطة به، والقيم المعتمدة عليها في إثبات إنسانيته، وذلك عن طريق معرفة العلاقة بين هذه المعطيات الثلاثة وفك رموزها لإزالة كل ما شأنه أن يحول دون معرفة حقائق العالم، والوصول إلى ذات متحررة من نزوع الحيرة والتساؤل" (صالح، 2010).

وصارت الأسطورة منبع الأدباء يستخلصون منها عناصر إبداعاتهم الأدبية، وفق ثقافاتهم ووفق متطلبات مجتمعاتهم، حيت تتوثق صلة الأدب بالأسطورة لاشتراكهما في اللغة الأدبية والمتن الأدبي على أسس الخيال والرمز. فهي تعد رصد فني لتاريخ فكر ما تختلط فيه الدلالات الفنية، وتمتزج معه الدلالات الدينية، والدلالات التاريخية. وبهذا، تبدو العلاقة بين الأدب والأسطورة من خلال اشتراكهما في اللغة ومن خلال تلك العلاقة. حيث يتجه الأدب إلى للأسطورة "لكي يقلل من حجم التداول بالمدلول اللغوي، وليزيد من رصيده التعبيري من خلال الصورة" (شاهين، 1996، 20). والذي يجعل الأدب مكملا للأسطورة هو "وقوف اللغة عند حد معين في نقل أسرار الكون الذي نعيش فيه، والتي تتمثل في شكل صورة أقرب على إحساسنا الداخلي من أي تعبير لغوي" (الجندي، 1995، 101). ومن ثم كانت "الصلة التي تجمع الأسطورة بالأدب هي الكلمة بعدها القاسم المشترك والعنصر الأساس لمعظم الفنون يترتب عليه تعبير وإيحاء له دلالات ذات بعد عميق" (أبو غالي، 2006). فشكل الأسلوب الأسطوري الذي هو "أسلوب التعبير عن الشيء وليس الشيء ذاته" (لوسيف، 2005، 133). فالأدب الأسطوري لا يعدو أن يكون استعمالا خاصا للغة الأسطورية، وهذا الاستعمال الخاص هو الذي يحدد درجة القرابة بين الكتابة الأدبية والأساطير. كما يحدد هوية هذه

الكتابة ومدلولاتها الحضارية والفكرية إلى الحد الذي بدت فيه الأسطورة مع الأدب أشبه ما تكون "مختبرات لغوية تناوئ القيم الجمالية التقليدية للغة، وتوقع الفوضى في مجمل الأعراف التي قد تعطي الجنس الأدبي شكلا ومعنى محددين" (رايتر، 1992). إذ إن "أهم ما يميز اللغة الأسطورية ما تملكه من مستوى عال من الرموز والإيحاءات التي تتولد من خلال المعاني الأسطورية، كما أنها تعتمد في الغالب على التشخيص والتجسيد وتراسل مدركات الحواس" (الحجموي، 1996).

وترتبط الأسطورة بالأدب في "أن كليهما له علاقات نشوئية تطورية وجدلية؛ حيث يكون للقصص ذاتها أكثر من رواية" (عجينة، 1994، 276). والأسطورة لها جانب أدبي اتجه له اهتمام الأدباء وذلك لما لها من طاقات إيحائية تجلي جانبها الفني، بصرف النظر بما كانت تؤديه من وظائف دينية، فهي تقترب من المعنى الأدبي كونها سرد خيالي يضاف له العجائبي الغرائبي، اقتنع بها العقل وصدقها في حينها؛ لأنها "محاولته لفكر أسس له فهم الكون بظواهره المختلفة في كونها وليدة الخيال الذي انشغل به الإنسان القديم في مواجهة الظواهر الطبيعية التي لم يصل إلى علة وجودها فأنشأ حولها الأساطير" (الغزالي، 1985، 81). وتلك علاقة جديدة تربط الأسطورة بالأدب من منظور السرد ويبدو أن "سرد الأسطورة يحدد موقعها بالشكل المتعارف عليه والمقبول من الجميع لغزارة مادتها في تصور المعاني، فهي بحد ذاتها معان مصورة، وكل المعاني جائزة في سرد الأسطورة التي تحملها ضمن بنيتها وتركيبها الوظيفي وضمن مجموعة أخرى من الحكايا إذ لا وجود للمعنى دون البنية" (سمارة، 1996). فالأسطورة قد لقيت "انعكاسا في الأدب

تجسد من غنى الأساطير بأبعادها الإنسانية" (حاتم، 1988، 47).
وهي"كالرحم التي يخرج منها الأدب تاريخيا" (راثفين، 1981، 97).

ولعل ربط الأسطورة بالأدب يشير إلى الاستخدامات الأدبية للأسطورة كونها خادمة لأغراض متعددة، رغم التداخل في الاستخدامات و "الطريقة التي تتغير بها السياقات الأدبية بدقة لا متناهية، بل ملائمة لعدة معاني في السياق نفسه" (رايتر، 1992، 31). حيث أن الأسطورة لها مقوماتها الخاصة المميزة عن باقي الأشكال التعبيرية الأدبية بعدها نوعا من "الخلاصة الفكرية التي تحظى بالقبول باعتبارها مزيجا من المعتقدات والمواقف والخبرات والمشاعر ذات المعالم الخاصة، حتى أن لكل أديب نسق أسطوري خاص به يحلله الناقد على أساس من العرف الأدبي الذي يتضمنه" (ناصف، 1978، 55). وقد انتقلت هذه الخصوصية إلى عالم أدبي مستقل له كيانه الذاتي، حيث وسعت الأسطورة مدى التصور العقلي، فمنحت الصورة الأدبية أبعادا أسطورية أضافت إلى البنية الأدبية إذ "إن تأثير الأسطورة يقوم على المعايير الأدبية والطريقة التي تعمل بها الأسطورة داخل العمل الأدبي ككل، ويكمن دور النقد في الكشف عن الدور الذي تقوم به أساطير معينة في إضفاء سحر أكبر من الأساطير الأخرى على المدونة الأدبية، بيد أن اتساع الحس الأسطوري في الأدب العربي الحديث لا يكاد يشير على هيمنة نموذج معين" (الخطيب، 2006، 54). وإن "رؤية الأسطورة تحت سطح الأدب معناه الغوص في أعماق الوضع البشري، وبالتالي رؤية أوضح للكشف عن أعماق البشرية التي يكتشفها الأدب ويسلط عليها الضوء بواسطة الأسطورة، حيث أن

الأسطورة لا تقف عند معنى حرفي سطحي، بل لها أواصر عميقة في سياقها بوصفها وسيلة للتشابه العرضي بين الماضي والحاضر" (رايتر، 1992).

وبهذا، فإن موضوع العلاقة بين الأدب والأسطورة يعد مفتاحا مستحدثا للغوص في أعماق النص الأدبي إذ "إن الأسطورة والأدب هما شكلان من أشكال التعبير الإنساني عن حياة الإنسان وفكره، وعلامة من علامات بداية أية حضارة؛ لقدرة الإنسان على إبداع الشكلين اللذين تنمو في ظلهما وبتأثيرهما الحالة الإنسانية" (السامرائي، 1995). والأديب "يملك عالمه الأسطوري ويملك العمل الأدبي كذلك" (سمارة، 1996، 18). وإن الأسطورة "جنين الملحمة والقصة والحكاية والرواية والتراجيديا المستقبلية، وهي التي تستخدم في الأدب بوصفها مادة في حد ذاتها، وبوصفها معنى مقصودا مزاحا يعبر عن تجربة معاصرة" (حمود، 1986، 143). واستعمال الأساطير في الأدب نابع من تأثير النزعة الجديدة في الأدب الحديث، ويأتي الأديب إلى الأسطورة ملتصقا بالسحر أو بعادات الإنسان البدائي، أو بطقوسه؛ ليصورها داخل نتاجه الأدبي بكل صورها ومعانيها؛ وليعلن عن بداية تجربة أسطورية بمعرفة أدبية جديدة بمختلف أنماطها، وبواعثها، وأبعادها المعرفية ؛ لتلبية الحاجة الأدبية الجديدة نحو فهم النص الأدبي الجديد؛ لتكون التجربة الأدبية إبداعا يخرج من ذات المبدع الذي أبدع أسطورته الجديدة.

1،1 عوامل توظيف الأسطورة في الأدب

تتعدد العوامل التي ساهمت بشكل فعال في توظيف الأسطورة داخل نسيج العمل الأدبي، التي كانت وراء شيوع ظاهرة استدعاء التراث الأسطوري من مختلف الحضارات الإنسانية كصورة من صور الارتباط بالموروث الثقافي لأمم الأولين، حيث تتشابك هذه العوامل وترتبط بالتأثير والتأثر في كل منها

على الآخر، وتتنوع بتفرعاتها التي تندرج تحت كل عامل، منها عوامل فنية وعوامل ثقافية وعوامل سياسية واجتماعية وعوامل نفسية. وهذه العوامل بعضها يفسر رجوع الأديب للأساطير وشخصياتها ومدى توثيق علاقته بهذا الموروث الإنساني من مختلف الثقافات والانتماءات، والبعض الآخر يفسر أسباب شيوع ظاهرة توظيف الأسطورة ونسجها داخل نسيج الأعمال الأدبية الحديثة.وهذه العوامل هي:

أولا: العوامل الفنية:

تتمثل العوامل الفنية وتتبلور في عاملين اثنين:

أ. إدراك الأديب بمكنون التراث وثرائه: لقد أحس الأديب الحداثي بمدى أهمية التراث الإنساني ومخزوناته المعرفية والثقافية، وغنى مدخراته الوعظية، وإمكاناته الفنية واللغوية والأدبية، ووفرة نماذجه التي تمنح الأعمال الأدبية طاقات تعبيرية، ومشاهد إيحائية لا حدود لها. وأيقن أنه "باستغلال هذه المكنونات التراثية الأسطورية يكون قد وصل تجربته الأدبية بمعين لا ينضب من القدرة على الابتكار والإيحاء والتأثير؛ وذلك لأن المعطيات التراثية لها لونها الخاص من القداسة والأصالة التي تلتصق في وجدان الأمة، لما للتراث الإنساني من حضور دائم ومتجدد بقيمه الروحية والفكرية والوجدانية في نفس المتلقي" (زايد، 2005). وذلك بإثارة كل الإيحاءات والدلالات التي تعلقت تلقائيا في وجدان المتلقي، وتأثر بها عبر الذاكرة الجماعية، مما يفسح المجال لدمج تلك الأحداث الأسطورية واستدعاء أصواتها داخل ثنايا العمل الأدبي لتعبر عن ذات الأديب وتفصح عن رؤيته. حيث وجد الأديب نفسه رهينة الماضي السحيق، وصدى لأصوات "التي يمكن أن ترن في وجدان

المتلقي وسمعه بأبعاد من تجربته المعاصرة، وهو حين يوظف هذه الأصوات داخل نتاجه الأدبي يكون قد أضفى على تجربته الأدبية نوعا من الأصالة الفنية بإكسابها هذا البعد التاريخي الحضاري، وفي الوقت نفسه أكسبها نوع من الشمول حيث تخطى بهذا التوظيف حاجز الزمن وامتزج في إطارها الماضي والحاضر في وحدة شاملة" (إسماعيل، 1967، 307). فالأديب عند اختياره من مكنونات الأسطورة فهو يتوحد معها، ويعبر عما عبرت هي عنه بمنحها قدرة على الآنية والتجدد والحداثة والمعاصرة مع المحافظة على بريق أصالتها وعراقتها؛ لأن النماذج الأسطورية التي يعبر بها الأديب من خلالها "تمكن الأديب من الخروج من نطاق ذاتيته المغلقة إلى تجربة إنسانية ذات نطاق أشمل وأعم" (حلاوي، 1994، 164). وبالتالي يستطيع الأديب أن يتوحد مع التراث الأسطوري حتى تكتسب التجربة الأدبية بأبعادها المختلفة الشمول الإنساني الرحيب باجتيازه حدود الزمان دون أن تفقد معاصرتها وحيويتها.

ب. نزعة الأديب إلى إضفاء الموضوعية: فقد سيطرت الجوانب العاطفية الذاتية على الأعمال الأدبية، حيث "كانت القصيدة العربية دائما تعبيرا غنائيا عن عاطفة ذاتية، وأصبحت تجربته في العصر الحديث أكثر تشابكا وتعقيدا من تلك التجربة الذاتية البسيطة محاولا إضفاء على الشكل الفني لتجربته لونا من الدرامية والموضوعية" (البياتي، 1968، 33). فقد شاع إضفاء الحوار والأساليب القصصية، وكذا الأصوات والشخصيات التراثية الأسطورية ليتخذها قناعا يبث من خلاله خواطره وأفكاره متجردا من ذاتيته، أي "يعمد الأديب إلى ابتكار وجود مستقل عن ذاته، وبذلك بدأ يتخلى عن رومانسته وغنائيته، فالانفعالات التقليدية لم تعد تشكل العمل ومضمونه، بل هي الوسيلة إلى

الابتكار الفني المستقل" (عبدالرحمن، 1970). إذ إن "مركز القيمة الأدبية قائم في النموذج الذي نصنعه من مشاعرنا وليس في مشاعرنا نفسها" (جينيت، 2000، 132). أي أن عواطف الأديب ليس في ذاتها هامة بل تكمن الأهمية في النموذج الذي يعبر عن هذه العواطف، وقد أطلق عليه إليوت اسم (المعادل الموضوعي) ويقصد من هذا المصطلح "الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة في قالب فني بإيجاد معادل موضوعي لها من مواقف، أو سلسلة من الأحداث تشكل وعاء لهذه العاطفة الذاتية، بحيث تنفجر هذه العاطفة في الحال عندما تقدم الأحداث الخارجية موضوعة في تجربة حسية" (الربيعي، 2012، 167). ويعتمد فيه الأديب على "أساس ذهني، يجعل منه مجهودا تنظيميا وقالبا موضوعيا متماسكا، وبناء على إشارات تاريخية وأسطورية تساعد على توضيح البناء الموضوعي لتجعل منه قالبا فنيا موازيا لما يثار من موضوعات وما يستحضره من أساطير وليس مجرد تعبير عن المشاعر الخاصة المتصلة بهذه الموضوعات أو تلك الأساطير" (الربيعي، 2012، 196). حيث ينقل الأديب العمل الأدبي من "سيولة وإبهام الأديب الأولى إلى صلابة ووضوح التكوين الموضوعي، ليحقق التوازن والتكافؤ الأدبي بين استقلال الحدث الأسطوري وشخصياته والتفسير الذي يقدم به الأديب هذه الأحداث والشخصيات" (المصطفى، 2006).

ثانيا: العوامل الثقافية:

ساعدت العوامل الثقافية الأدباء على التوجه الأسطوري، وعلى انتقال الأديب من مرحلة التعبير عن الموروث إلى مرحلة العبير بالموروث. وتتمثل العوامل الثقافية في:

أ. الحفريات الثقافية والتنقيب عن التراث: أترث حركة إحياء التراث في كشف كنوز مدخرات الإنسان من أساطير فقد وجهت الأنظار نحو القيم الفكرية والروحية التي استوعبتها الأساطير، لتعطيها خاصية الاستمرار وقد لفت هذا الأدباء "منذ بداية عصر النهضة، فارتدوا إليه يستلهمونه ويسترفدونه، حتى وصلوا إلى توظيف الأساطير فنيا للتعبير عن التجارب المعاصرة بما جدت به من ظروف حضارية وثقافية، حيث صنعوا نموذجهم الخاص في التعامل مع التراث الأسطوري، وقد قام الأدباء بدور جوهري في تحقيق الحضور الدائم للتراث في وجدان المتلقين وعقولهم" (عبد الصبور، 1992، 111). وأصبح على الأديب الحداثي التعامل مع التراث الأسطوري من خلال منظور تفسيري "ليكشف عن تلك الروح الشاملة الكامنة في هذا التراث، والينابيع الأولى التي تفجر منها، حيث أصبح من يتكلم بصوت الكتب وأنظمتها وقواعدها لا ينقل إلينا غير الصدى الباهت للأصوات التي تركتها، لكن من يتكلم بصوت الينابيع الأصيلة في أعماق الأمم بتباين ثقافاتها ينقل إلينا ملايين الأصوات وبمختلف الثقافات، ويرفع مصير كل فرد فينا إلى مصير الإنسانية" (علي، 1984).

ب. تأثر الحداثيين بالموروث في الآداب الأوروبية الحديثة: تمثل "الآداب الأوروبية جزءا هاما من التراث الإنساني، والأديب بحاجة إلى الدراسة المنهجية لتاريخ هذه الآداب وترجمة آثارها ترجمة صحيحة رصينة شاملة" (حاتم، 1972، 11). كما أن الارتباط بالتراث والتعلق به لا يعني التقوقع داخله أو التقيد داخل إطاره، أو إغلاق الباب في وجه أية تيارات ثقافية وافدة من خارج الحدود، بل يعني الارتباط بالتراث الذي يرشد إلى أقوم السبل التي تعني بالتجدد، حيث أن عبق التاريخ لا يمكن الاستغناء عنه؛ لأنه يجسد

الإنسانية وفكرها. إذ إن "قيمة العمل الأدبي تترتب على أساس علاقته بالماضي التاريخي، وأن الحاضر ينبغي أن يغير الماضي بمقدار ما يوجه الماضي الحاضر" (حاتم، 1972). ولا ينبغي للأديب أن يصبح مرآة تنعكس عليها تقاليد التراث فتفنى شخصية الأديب في ذلك الانعكاس بل "إدراك الروح السارية في التقاليد والتي تجعل منها وحدة تتكامل حلقاتها باندماج فكر العصر فيها، والدعوة إلى الاستفادة من عنصري الثبات والنظام الموجودين بواقع الحاضر الحي، وتمثيله تمثيلا صحيحا" (الربيعي، 2012، 184). يقول صلاح عبد الصبور في هذا الصدد: "ليس التراث حركة جامدة، ولكنه حياة متجددة، والماضي لا يحيا إلا في الحاضر، وكل عمل أدبي لا يستطيع أن يمد عمره إلى المستقبل لا يستحق أن يكون تراثا، ولكل أديب أن يتخير تراثه الخاص، والميزة الحقيقية في الفن والأدب المتحضرين أنهما تراث ممتد يستفيد لاحقه من سابقه" (عبد الصبور، 1992، 114).

ثالثا: العوامل السياسية والاجتماعية:

عندما يتعرض أصحاب الكلمة لبطش سياسي أو اجتماعي يخنق حريتهم ويكبل أقلامهم ويطمس التعبير عن آرائهم وأفكارهم، يلجأون إلى وسائلهم وأدواتهم الفنية الخاصة التي يستطيعون بواسطتها أن يعبروا عما في جعبتهم بطريقة مموهة غير مباشرة تسودها الفنية، بطريقة لا تلفت انتباه السلطات، ولا تعرضهم لبطشهم وجورهم. ومن الأساليب التعبيرية التي لجأ إليها الأدباء على المدى البعيد الأساطير ورموزها الأسطورية، أو تسويق آرائهم على لسان الحيوان التي وجدوا فيها ملاذا آمنا، بالإضافة إلى ما تضفيه على العمل الأدبي من قيمة فنية، فيتخذها ستارا يحجب القوة السياسية والنبذ الاجتماعي

عنه. فقد لجأ الأدباء إلى "استعارة الأصوات الأخرى ليتخذوها أبواقا يسوقون من خلالها آرائهم دون أن يتحملوا هم وزر هذه الآراء والأفكار" (زايد، 2006). وقد وجدوا في الأساطير ما يساعدهم على التخفي وراء شخصياتها ليعبروا عما يعانوه من عذاب وآلام، وبالتالي فقد كانت الظروف السياسية الخانقة التي مرت بها الدول العربية عاملا وسببا من أسباب اتجاه الأدباء إلى التراث الأسطوري. وقد صرح بعض الشعراء بدور هذا العامل في اتجاههم إلى استخدام الشخصيات الأسطورية ومعطياتها، وذلك بعد تغير الظروف السياسية التي كانوا يقاومونها. يقول بدر شاكر السياب: "كان الواقع السياسي هو أول ما دفعني للأساطير التي اتخذت منها ستارا لأغراضي، ففي قصيدتي "سربروس في بابل" و"مدينة السندباد" هجوت فيهما الأنظمة المتغطرسة دون أن تفطن زبانيتهم لذلك" (إسماعيل، 1974، 87). حيث يلجأ الأديب إلى الأساطير، واستخدموها بذكاء ومهارة تضفي على العمل الأدبي قدر من التنوع والغنى من خلال ترددها على أصوات أسطورية متعددة تكون صدى لأفكاره وآرائه التي لم يكن في وسعهم التصريح بها.

وكذلك اتخذوا الوسيلة نفسها في مواجهة بطش القوى الاجتماعية التي كانوا يخالفونها في الرأي، دون أن يدخلوا معها في صدام مباشر، كما فعل الشاعر علي أحمد سعيد (أدونيس) الذي "تبنى في مرحلة من مراحل تجربته الشعرية صوت الشاعر العباسي مهيار الديلمي، حيث أصدر أدونيس ديوان باسم (أغاني مهيار الدمشقي). وقد عبر من خلاله عن موقفه الرافض للواقع الحضاري العربي، دون أن يورط نفسه في صدام مباشر مع القوى التي تشكل المجتمع العربي المعاصر، وقد أضفى على ديوانه الكثير من الملامح الفكرية والفنية والفلسفية على شخصية مهيار" (إطيمش، 1998).

رابعا: العوامل النفسية:

إن الشعور بالغربة خارج أرض الديار، أو الشعور بالاغتراب داخلها لما يسود العالم من زيف وخداع وتصنع ينهش عفوية الحياة التي كانت في زمن ما بسيطة وتلقائية. هذه الازدواجية في الإحساس من الغربة والاغتراب بجفافه ونمطيته وتعقيده وقسوته تدفع الأديب إلى الابتعاد عن الواقع والتملص منه؛ ليناشد عالم الأسطورة الرحب الواسع الأكثر نضارة وصفاء، وكان ينشد هذا العالم في التراث الأسطوري، حيث "يعيش سذاجة الأحلام الأسطورية وعفويتها، ويجد في نزوع حسه الأدبي الالتحام بالعالم استجابات روحية عميقة، وحيث التجربة نفسها ترفض أن تسجن داخل نظام مغلق من القواعد والمعاني المجردة" (الحجاجي، 1984). فيحن الأديب الحداثي إلى العودة إلى تلك العصور الأسطورية التي عاشتها أمم الأولين حيث "اللغة لا تزال بكرا لم تفقد قدراتها الخارقة على التصوير والتأثير، لغة ينتمي لها الأديب ويتمنى أن يمتلك فيها تلك الطاقات الأسطورية التي كانت تمتلكها كلمات الشاعر البدائي، بقوة تصويرها، وبلوغ سلطانها على النفوس" (هلال، 1986). ليصنعوا من معطيات عالم الأسطورة على المستوى الفني عالما شبيها بالأساطير. فقد أصبح الأديب في واقعه غريبا يبحث عن الأمان والاطمئنان حيث "لم تكن الحاجة إلى الأسطورة أمس مما هي اليوم، فالقيم التي تسود قيم لا شعرية، والكلمة العليا فيه للمادة لا للروح؛ حتى عاد الأديب إلى عالم الأساطير، التي ما تزال تحتفظ بحرارتها؛ لأنها ليست جزءا من هذا العالم، وليستعملها رموزا يبني منها عوالم تليق بأحلامه التي يتحدى بها منطق الذهب والحديد" (مهدي، 1988، 53). ولعل الأديب إذا ما "وضع

ثقته في الأساطير فإنها ستعبر به إلى ما وراء أسئلته الذهنية الباردة، والمنطق العقلي الذي يسود حياته" (بارت، 1992).

2،1 أغراض توظيف الأسطورة في نسيج النص الأدبي

إن توظيف الأسطورة في النص الأدبي يعني استحضار دلالاتها واستنفاذ طاقاتها الإنسانية والإيحائية، واستنطاق مكنوناتها الجمالية "فالجمال والفن والدلالة الإنسانية بدلا من الإيديولوجيا أمور باتت مهمة لتأكيد جماليات الخطاب الأدبي" (يوسف، 2011، 19). والنص الأدبي يتجلى "بتخليه عن آنيته وفرديته وهمه الداخلي ليصبح في المحصلة الدفقة الشعورية والإنسانية التي يحسها كل منا إزاء النص المقروء، بحيث لا تشكل حالة أحادية الاتجاه لدى كل القراء، فقد تكون متباينة، لكن لابد أن تكون قادرة على إثارة الإحساس بالجمال والمتعة" (إسماعيل، 1974). لتحرك الطاقات الفكرية والفلسفية والتخيلية. وهذا ينسحب على الأسطورة الأدبية التي لابد أن تتركز قيمتها الفنية والجمالية لتكون رؤية إبداعية؛ لأن الأسطورة ليست حادثة تاريخية مجردة عن الأحاسيس وإعمال الفكر، ولا تتركز قيمتها حول الرؤية التاريخية وحسب، بل هي بناء متكامل يضم جملة من العناصر التوظيفية فيه. ومن يوظفها لابد أن يراعي فيها الجانب الفني المختبئ وراء هالتها الطقوسية والتاريخية والحضارية. والأديب في تعامله مع الفكر الأسطوري لابد أن يراعي قضية الرؤية والموقف بالنسبة للزمان والمكان ذلك إن خلود الأساطير وقدرتها على الاستمرار لقرون من الزمن وقدرتها على التجدد وتشكل مواقف ذات أبعاد جمالية ورؤيوية يكمن في "قدرتها على تغييب الزمان والمكان وإلغائهما بحيث يبدو زمان الأسطورة هو كل الأزمنة ومكانها كل الأمكنة. إنها زمان يصعب تحديده، في سرمديته وشموليته، مكان يجمع

فضاءات كل الأمكنة التاريخية يمتد ويتسع بدوره ليشمل أزمنة لا محدودة من الماضي والحاضر والمستقبل والمتخيل والمرئي واللامرئي" (عثمان، 1988).

3،1 أغراض توظيف الأسطورة عند الأدباء والنقاد

لقد فسر الأدباء الذين وظفوا الأسطورة في آثارهم الأدبية والنقاد أغراض توظيف الأسطورة داخل النسيج الأدبي وغرض استدعائها من الموروث الإنساني، وقد تمثلت آرائهم في التالي:

أ. استخدمت الأسطورة في الأدب لغرض التخفي، واتخاذها قناعا فنيا. يقول الشاعر عبد الوهاب البياتي: "حاولت أن أوفق المتناهي واللامتناهي بين الحاضر وتجاوز الحاضر وتطلب هذا مني معاناة في البحث عن الأقنعة الفنية، ولقد وجدت هذه الأقنعة في التاريخ والرمز والأسطورة" (البياتي، 1968، 39). وهذا غرض إيجابي بحيث تكون الأسطورة ملاذا للتخفي،واستكشف من خلالها الأقنعة الفنية، ويتجلى من خلاله دور الأساطير بمظهرها الثقافي والإنساني، وقدرتها على اكتشاف الذات الأدبية من جهة، والذات الإنسانية من جهة ثانية.

ب. توظف الأسطورة كأداة لتحفيز الفرد في اتخاذ مواقفه لمواجهة الواقع المعيش، وتخطيه بابتكار واقع بديل. يقول الشاعر والكاتب المسرحي الألماني بروتلد بريخت: "إن المسرح يجب أن ينمي رعشة الفهم، وأن يدرب الناس على متعة تغيير الواقع، فلا يكفي الجمهور أن يعرف كيف تحرر بروميثوس فقط بل عليه أن يتدرب على اللذة في تحريره، ويجب أن يشعر بكل الفرحة والغبطة اللتين يشعر بهما المخترع والمكتشف وبكل النصر الذي يشعر به المحرر" (أبو شعر، 1983، 140-143). وبالتالي فإن الأسطورة تضفي

حالة من المتعة واللذة في قراءتها بين يدي الأديب الذي استدعاها وأعاد لها بريقها. فهي متعة مشتركة بين الأديب والمتلقي.

ج. في توظيف الأسطورة يتخطى الأديب البعد الظاهري لها لتصل به إلى بعد أعمق جوهريا، ولتكون رؤية مستمدة من المادة التاريخية بإمكانياتها الإنسانية ومكنوناتها الحضارية والأسطورية. يقول الشاعر صلاح عبد الصبور: "إن الدافع إلى استعمال الأسطورة في الشعر ليس هو مجرد معرفتها، ولكنه محاولة لاستكشاف كنوز التجارب الإنسانية، وتنسيقها في علوم استدلالية" (عبد الصبور، 1992، 180-181). فالأسطورة الأدبية تستفز المتلقي في البحث عن نص الأسطورة لاستكشاف أغوارها والتعايش مع مجرياتها وأحداثها.

د. توظف الأساطير في الأدب لحاجة الأدب اليوم إلى الرمز، بعد أن صارت الكلمة العليا فيه للمادة لا للروح، أي غلبة الحس المادي على الحس الروحي. يقول الشاعر بدر شاكر السياب: "عاد الشاعر للأساطير،إلى الخرافات التي ما تزال تحتفظ بحرارتها لأنها ليست جزءا من هذا العالم، عاد إليها ليستعملها رموزا، وليبني منها عوالم يتحدى بها منطق الذهب والحديد، كما أنه راح من جهة أخرى يخلق له أساطير جديدة" (علي، 1984).

هـ. إن توظيف الأساطير في الأدب علامة حقيقية ونافذة على عدم انقطاع التراث عن الأدب، والجدر المتعمق أواصله في الفكر الأدبي. يقول الشاعر سعدي يوسف: "أعتبر التراث الجذر الذي تحرص على عدم انقطاعه؛ وذلك لمطاوعته للعصر وقابليته للاستعمال الجديد ليعبر عن قيما فنية، فالتضاد الشكلي الذي يتضح في المطابقة يمكن أن يتطور إلى تضاد جدلي. كما أن عنصر التشبيه التمثيلي يمكن أن يتطور بالصورة. وعنصر

الإيقاع يمكن أن يكون جزء من هارموني حديثة. فالتراث الأسطوري يخلد لحظة ولحظات إنسانية بمواقفها وصورها ليعطيها الأديب صفة الشمول" (البستاني، 1986، 15). بحيث تستخدم الأساطير استخداما جديدا مرتبطا بالواقع ومناسبا للعصر؛ سيما أن ذاكرة الإنسان الأولى هي جذره وتربته الذي ينميه الأديب ليصبح رمزا أسطوريا.

و. توظف الأسطورة في النصوص الأدبية بسبب العلاقة القوية والمباشرة بين الأسطورة والأدب المتمثلة بعلاقة الفرع بالأصل، ووعي الأدباء بأهمية تلك العلاقة. إذ وجدوا فيها الينبوع الغزير لخصوبة تجاربهم الإبداعية. يشير الناقد محمد زروق إلى أن توظيف الأسطورة "يصدر عنه فضاءات تساهم في تشكيل النص الأدبي، هي فضاءات عالق بعضها ببعض تنسج خطابات متشربا لخطابات متأصل في واقع يومي مقلق وواقع تاريخي مؤرق، يلقي من خلالها الأديب إشاراته، وعلى المتلقي أن يكد الخاطر لبلوغ القصد المرجو" (عزيز، 2002). فالأساطير عالم من العوالم الممكنة التي يلجأ إليها الأديب؛ لأنه يجد فيها ملجأ للإشارة، ومأوى لتحمل التعبير عن واقعه اليومي والتاريخي عبر خيالية الأسطورة ووسع فضائها؛ ليفسر أبعاده الرؤيوية ويفسر أسئلة الوجود الخارقة بمعايير أسطورية.

ز. تستخدم الأساطير في النصوص الأدبية كأدوات فنية في التعبير المعاصر. يقول الشاعر بلند الحيدري: "إن الرموز التراثية الإنسانية هذه إحدى أدواتي الفنية في التعبير المعاصر، فكل ما بقي من التراث بقي بقوة ما يمكن أن ينمو ويتكامل مع التطور. وأن التجربة الشعرية لابد أن تقوم على ثلاثية أساسية لا غنى لواحدة عن الأخريين، وهي التراث، والمعاصرة، والواقع

المحلي. ولا يمكن لعمل إبداعي أن يحقق وجوده إلا بهذه الثلاثية " (فتح الباب، 2007).

ح. يرى الناقد غالي شكري إن الهدف من وراء استخدام الشاعر المعاصر للأساطير هو "تحقيق غايات عديدة؛ إذ يطمح فيها إلى تحقيق ذاتيته المكبوتة والتصريح عن احتياجاته الجمالية العميقة الجذور في النفس العربية المعاصرة، وهي محاولة قد تأثرت بلا ريب بجهود أدباء ونقاد الغرب ولكنها لم تتوقف قط عند أعتابهم، بل أدركت النفس العربية أن التكوين التاريخي للإنسان العربي أكثر استعدادا إلى اكتناز واجترار تراثه الأسطوري الذي سبقنا الغرب إلى الإفادة منه" (شكري، 1991). وقد لجأ الأديب إلى الحلم والتخيل، لجأ إلى تشكيل العالم تشكيلا رمزيا وجماليا من مناهل التاريخ الأسطوري الذي ظل يحتفظ بنقائه الفكري الإنساني طيلة هذه العصور.

ط. يوظف الأدباء الأسطورة لأنها مكمن الصور الشعرية. يقول الناقد أحمد عثمان: "تكمن الصور الشعرية في الأسطورة المرسومة بآلاف الخبرات وبكل الألوان والاتجاهات؛ لأنها من صنع الإنسان وابتكاره، سيما إن كل عصر يضيف إليها شيئا يتواءم مع حسه وتفكيره" (شربل، 1988). فالأسطورة التي تولد إبداعا تمتلك معها الأشياء عمقها الحقيقي وتفقده عندما يتولى البصر الأمر "فالإبداع حلم والرؤية بالعين عماء" (سعيد، 1982، 41).

ي. إن إتقان قول الأسطورة ينجز إبداعا. يقول الأديب الروائي إبراهيم الكوني: "إن العالم كله حكاية ورمز. لقد علمنا أرسطو أن نتقن قول الأسطورة إذا أردنا أن ننجز إبداعا، ومازال الإبداع يخضع لهذا القانون حتى اليوم. إن الرواية عندي لا تولد إلا من معطف الفلسفة وتمر من خلال النماذج

والمنظومة السردية عبر دهاليز الفلسفة أيضا، لتنتهي إلى هرم الفلسفة أخيرا. إن اعتناق الفكرة الفلسفية يبني صرح الأسطورة، والأسطورة هي التي تصنع عالمها" (الكوني، 1998).

ك. الحاجة إلى مفردات جديدة لم نعهدها في الأدب العربي تشدنا اهتماما وانتباها، إذ "إن كل كاتب يبدع ريادته الخاصة سيما أن الإبداعية والأخلاقية مسألة انتباه واهتمام. وعمل الأديب في توظيف الأسطورة يسهم في تعديل مفهومنا للماضي ويصف لنا المستقبل" (المرزوقي وجميل، 1986).

يجمل الناقد أنس داوود الغرض من توظيف الأساطير في النقاط التالية:

أ. الخروج من دائرة الجاهزية والتلقي والانفعال به إلى دائرة النظر فيه وتعقله.

ب. حاجة الأدباء إلى الخروج عن دائرة الغنائية الذاتية التي اعتادها النتاج الأدبي عبر مدارس الرومانتكيين ومناهجهم التقليدية الملتزمة بقوانينها الصارمة والدخول به إلى دائرة الأعمال الموضوعية المستقلة لإيجاد معادل موضوعي للمشاعر والأفكار.

ج. التخفي وراء الأسطورة للتعبير عن بعض المضامين بصورة غيرية حتى لا تثير السلطات الاجتماعية والسياسية من حوله.

د. تحقيق وحدة الوجود الإنساني وارتباطه التجذري في الأساطير تعبيرا عن واقعه المعيش.

هـ. الإيجاز في لغة الأدب عبر تكثيف الدلالة وتركيز العبارة الأسطورية. (داوود، 1992).

المبحث الثاني: الأسطورة الأدبية

تعد الأسطورة متن حكائي تدور في مجال اللغة كما الأدب، وبذا ترجع صلة الأدب بالأسطورة اشتراكهما في اللغة، حتى أنها توصف بالأدبية؛ لأنها تعبيرا أدبيا عن أنشطة الإنسان القديم الذي "لم يكن قد طور بعد أسلوبا للكتابة التاريخية يعينه على تسجيل أحداثه اليومية، وأعرافه التقليدية، وعاداته الطقوسية. إذ كانت الأسطورة هي الوعاء الذي وضع فيه خلاصة فكر، والوسيلة التي عبر بها عما يجتاح الفكر من تصورات" (الجوزو، 1980).فالأسطورة من حيث الشكل هي "قصة قد تكون خلاصة فكر كأنها موعظة، أو ممتدة كأنها حكاية أو تاريخ، لكنها في كل الأحوال تصدر عن اعتقادات وطقوس تصور قصة خاضعة لقواعد السرد القصصي من حبكة وشخصيات بطابعها الصوري الذي يشع منه الخيال، والرمزية منها واضحة" (مهدي، 1988). وهكذا "جاء الأدب بوصفه مرآة عاكسة لمتطلبات الحياة وحاجاتها. كذلك جاءت الأسطورة تحمل رسالة حضارية لتعبر عن فكر، تستمد شخوصها وإزاحتها وأمكنتها من التاريخ، لتتحول هذه الشخوص وتلك الإزاحة والأمكنة بالتدرج من شخوص محددة زمانا ومكانا إلى أزمنة وأمكنة غير محددة" (عياد، 1971). وفي السياق نفسه فإن صياغة الأسطورة هي صياغة أدبية من حيث الشخصيات والحبكة والمواضيع والرموز والملاحم الأدبية، حتى تأثرت بالأدب وأثرت فيه سواء في النسيج الداخلي أو في الهيكل العام. فكما الأساطير الأولية قد نبعت من خيال خصب يتجاوز فيه الواقع، كذلك الأعمال الأدبية من شعر ونثر تنبع من خيال خصب، فبدا لافتا حضور الأسطورة كمجال خصب متجدد وظفه الأدباء كمعين لا ينضب في تجاربهم الأدبية، وبثوا فيها خواص الأسطورة من تجاوز للواقع وتخطي لحدود الزمان والمكان، ومزج الحلم مع الوهم، حيث عاد الأديب إلى عالم الأسطورة

من خلال رموزها وتصوراتها التي جسدت كل الأساطير الأولية في التراث الإنساني الضخم؛ ليبتكر رموزه ودلالاته الحديثة، ومنها يكون رؤيته للعالم.

وفي هذا الصدد "استفاد الأدب من الأسطورة من الناحية الجمالية الصرفة، والإدراك الجمالي للأسطورة، التي تعد من مرتكزات الأدب الحديث من خلال الصياغة الفنية في الأساطير، ومنحاها في التصوير والتشكيل" (ربابعة، 2008). فصار الأديب الحداثي الذي يتوجه إلى النسق الأسطوري معنيا بتوسيع رؤيته وثقافته للتراث الإنساني، ومن أساطيره المتوارثة، واتخاذها مصدرا من مصادره الأساسية لإلهامه، ووسيلة لاكتشاف ذاته من خلال عملية إبداعية جديدة.

يعد مصطلح الأسطورة الأدبية مصطلحا حديث النشأة، فهو "مصطلح وليد القرن العشرين أطلقه العديد من المقارنين على الأسطورة الموظفة في الأدب وبالمقارنة مع الأساطير الأولية دخلت الأسطورة الأدبية الميدان في زمن متأخر وبصورة خجولة حتى وإن كانت بعض الأعمال تعود إلى فترة ماضية ولم تأخذ دراسة الموضوعات والأساطير مكانها إلا ابتداء من سنة 1930م تحت تأثير التحليل النفسي" (أبو بكري، 2007، 20).

إن الأدبية هي صفة لكل ما هو أدبي وما يشمله من خصوصيات حضارية وثقافية وتاريخية لكل أمة من الأمم وللمحيط الذي أنتجته، ونجد عند ابن الأثير في القرن السابع عشر بعض الأوصاف للأدبية في قوله: "والمعول عليه في تأليف الكلام من المنثور والمنظوم إنما هو حسنه، وطلاوته، فإذا ذهب ذلك عنه فليس بشيء" (ابن الأثير، 1995، 76). وهاتين الخصلتين أو الصفتين هما: الحسن والطلاوة وبدونهما لا يعد الكلام شيئا. فالأدب الذي

حقق أدبيته وحاز جودته يصدر عن أديب مجود عارف بطرق تحقيق الأدبية على النص الأسطوري قصد إبراز صفات كل عنصر من عناصره الأساسية، وتحديد قدر مساهمته في إحداثه في الأسطورة الأدبية من تغييرات تتلائم مع التجربة الأدبية.

فقد يتناول الأديب العديد من العناصر الأسطورية ليستمد ملامحه من التراث الأسطوري، فلا يكتفي بإيراد العناصر الأسطورية كما هي من مصادرها التراثية، إنما يضيف إلى هذه العناصر ويحور فيها لتصبح أكثر حيوية وإقناعا. فهي محاولة للخروج بأسلوب كتابي جديد يستقطب مخيلة القارئ، ولا يكتفي عند حد استقطابه ومباشرته، بل مفاجأته أيضا. بحيث يعمل الأديب على تحويل الأحداث الحقيقية والواقع المعيش إلى أساطير مع بقائها ومحافظتها لواقعيتها، فالذي جعلها أسطورة ليس الحدث في ذاته بل ما لازم هذا الحدث من عناصر أسطورية بمعطيات ثقافية تحاكي الحدث الحقيقي الواقعي. وقد ورد هذا جليا في مطولة (عبقر) للشاعر شفيق المعلوف الذي حور في الشخصيات الأسطورية في التراث العربي التي تناولها في هذه المطولة شخصيتا (الهوجل والهوبر)، وهما من "شياطين الشعر عند العرب، الهوجل شيطان شرير يفسد الإيحاء، بينما الهوبر شيطان خير يحسنه" (يوسف، 2011، 217). ومن الشخصيات أيضا (ثبر وداسم وأعور وزلبون) أبناء إبليس، وكذا شخصيتي (سطيح ووشق) الكاهنين، حيث جسد الشاعر شخصية سطيح "لحما بدون عظم، وجهه في صدره لم يكن له رأس ولا عنق، وجسد شخصية شق له عين واحدة وكأنه شق الإنسان وشطره" (خليفي، 2002). ومن خلال هذه الشخصيات فسر الشاعر دلالاتها الأسطورية الخفية، وابتكر لها دلائل تتلائم مع هذه الملامح المشوهة البشعة،

دون أن تخرج عن إطارها التراثي الأسطوري. وحتى الأساطير التي لا تشير إلى فكرة ابتكر لها الأديب الفكرة التي يخالها صالحة لها، وما كان منها ذا فكرة مبهمة بسطها لتتضح مراميها. ولم تكن مطولة عبقر هي النموذج الوحيد الذي نسج الأسطورة الأدبية داخل النصوص الأدبية، إذ هناك مطولة (أرواح وأشباح) ل علي محمود طه، الذي "استمد عناصرها الأسطورية من التراث الإغريقي والعبري" (طه، 2012). وكذا رواية أنيس منصور التي تحمل الاسم نفسه (أرواح وأشباح). حيث "جمع فيها بين الثوابت الحقيقية والتصورات الأسطورية، بصورة انعكست ظلالها على أساطير عربية وغربية" (منصور، 2009). فالذخر العربي الأدبي غني في نسج الأساطير ذات النطاق الحضاري الواسع.

ومثل هذه الأعمال وغيرها الكثير انتقل فيها الأدباء من التعبير عن الأسطورة إلى التعبير بالأسطورة. من خلال نسجها داخل الأعمال الأدبية.

ولجعل أسطورة ما أسطورة أدبية لابد أن يستوعب الأديب أبعادها، وأن يكون ملما بكل حيثياتها حيث إن "إمكانيات أية أسطورة لا يمكن أن توظف في النص الأدبي إلا إذا فهم الأديب مغزاها لتعليق حالته بها" (زكي، 1979، 127). أما إذا أقحمت الأسطورة داخل النص دون غرض أدبي ، ولفقت به دون موائمة حاجتها التعبيرية فهو حتف للأسطورة والتجربة الأدبية معا. إذ إن "رؤية الأديب له أهمية للتعديل على مادة أسطورة ما لتتفق والتعبير عن تجربة معاصرة له، فالأديب عندما يشتغل ضمن شبكة من الصور الوهمية تجسد العناصر الأسطورية التي يشاركه فيها القراء المثقفون يستطيع أن يتجاوز الوضوح السطحي ليصل إلى الضمني" (حمود، 1986). والأدباء لا يرددون

الأساطير الأولية نفسها، إنما هم قد تفهموا مغزى هذه الأساطير واندمجوا مع روحها فأبدعوا أساطيرا أدبية، بعد اشتغالهم بالأساطير القديمة لينتجوا منها أساطير عصرهم تناسب ثقافتهم الفكرية.

إن التأمل بعمق في الأسطورة الأدبية تزيد من ثراء الفكر بحكم تفاعل الأساطير مع الأدب وتطوره، وامتزاجه بآداب من ثقافات متنوعة، حيث "يعيد للأذهان ذلك الفيض الفكري الأسطوري الذي قاد الفكر الإنساني في جميع مناحي المعرفة، مما يجعل الأساطير دائمة الحياة، وفي حركة دائمة" (يقطين، 2005). وعملية التأمل هذه تكشف عن احتمالات عديدة بحسب رؤية الأديب لها لتنظيم وإعادة تنظيم الأسطورة الأولية، وبناء وإعادة بناء لكل أجزائها التي تكونها؛ لاستشفاف العديد من العلاقات والاقتراحات الخاصة بالنص الأدبي الأسطوري. وذلك لغرض توليد نص أدبي من نص الأسطورة الأولي. هذه الاكتشافات تساعد الأديب المبدع على أن يتحرر، ويفلت من الطرق التقليدية المألوفة في رؤية العالم، وذلك باختراق الأساطير الأولية القديمة من أجل بناء أساطير أدبية حديثة. كذلك يترتب على عملية التأمل "الفحص في كل مكونات الأسطورة الأولية، وكل إمكانات التركيب بين هذه المكونات؛ لاستخلاص العناصر الأكثر تجريدا، والأكثر تمثيلا لموضوعات الأساطير الأصلية" (عبدالحميد، 1992). إذ إن الأسطورة الأدبية "تشكل رؤية ثقافية وفنية تتكئ بدورها على مرجعيات ثقافية أخرى تاريخية وأسطورية، فهي ليست رؤية فردية بل محصلة وعي جمعي يتشكل جماليا وفكريا لينهل من مرجعيات ثقافية متعددة المصادر والأبعاد يعاد إنتاجها لا لتثبيتها وإنما لكشف تناقضاتها" (عثمان، 1988، 71). فتمتزج خبرات الماضي السحيق وتجاربه، والمعايير المألوفة التقليدية، وأيضا المعتقدات

المترسخة المترسبة بالتوقعات والرغبات التي يطمح لها الأديب، لتشكل صورة للوحة خاصة يدركها عقل الأديب المبدع بعد التأمل والتفكير فيها، والتعديل والتحوير فيها، لتتحول إلى لوحة تجسد صورة ملائمة للواقع المعيش.

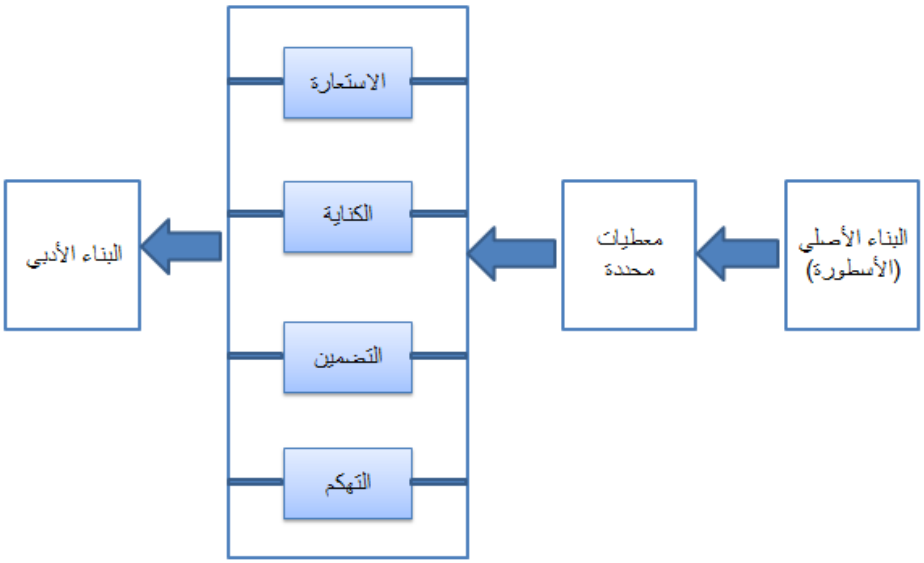

الشكل (1) توليد الأدب من الأسطورة

وبهذا، فإن الأسطورة الأدبية تعد من التيارات الفكرية والمذاهب الأدبية المستجدة التي تعددت مشاربها وتنوعت مرجعياتها الفكرية التي لها خصوصية في شكلها التعبيري، وآلياتها الفنية وفق أسس أدبية "رأى فيها روادها القدرة على حمل تجارب العصر الجديد التي لا تقوى الأشكال التقليدية على حملها، فصار من ضروريات العملية الأدبية أن يجدد الأديب في طرق تعبيره وأدواته الفنية تماشيا مع مستجدات العصر بشيء من التمرد والتحرر من قيود الأشكال التعبيرية القديمة" (عبد الرحمن، 1970). هذا وقد وجد

الأديب العربي في الأسطورة متنفسا رحبا يعبر من خلاله عن قضاياه ومواقفه، وتعد مصدرا من مصادر إلهامه ومجالا متسعا من مجالات إبداعاته، ومعنى ذلك أن الأديب الحداثي قد اتخذ من الأسطورة جسرا يرتقي إليه كلما أراد أن يخط نصا نثرا أو أن ينظم شعرا، فكان له عونا وطريقا يهتدي به كلما غاص في بحر الأدب للبحث عن التجدد والإبداع فيه، جاعلا من التراث الشعبي منبعا لكتاباته الأدبية. حيث يعد التراث الأسطوري تراث الأمم وذاكرتها الجمعية المتوارثة على مر العصور، فهو حصاد عقولها، وعطاء نفوسها، ورحيق تجاربها الصافي تهديه إلى أجيال الإنسانية جمعاء، مما لهم به صلة واجبة وحاجة شاملة ليغدو التراث الأسطوري لأي أمة القوة الدافعة لرقي الأدب، والبوابة السحرية نحو الإبداع والنهوض والانطلاق والاستمرار، مما أتاح للفكر الأدبي التواصل مع كل فكر مادام منسجما مع روح قيمنا العربية ولا يخل بثوابتنا الدينية الإسلامية.

الخاتمة.

تتلخص خاتمة هذه الدراسة في النتائج التالية:

النتيجة الأولى. إن محور الأسطورة الأدبية يكمن في الانتقال من التعبير عن الأسطورة بنصها الأولي، إلى التعبير بالأسطورة بنصها الأدبي.

النتيجة الثانية. تكسب اللغة الأسطورية النص الأدبي دلالات إضافية جديدة ما كان للنص الأدبي ليحملها لولا استدعاء الموروث الأسطوري الجديد برؤيته، وبالتالي تزيد من فرص طرح الرؤى والدلالات الفنية الجديدة؛ حيث يستنفذ الأديب من الأساطير لغتها الرمزية وفكرتها الخاصة وما تحويه من معان عميقة توفر للنص تعبيره الرمزي الغني بالطاقة الإيحائية المتجددة،

ويشكل منها بنية راسخة في النسيج اللغوي لنصه الأدبي، مما تضفي جوا أسطوريا ذات ملمح خاص على الجو العام لنص الأديب.

النتيجة الثالثة. إن النظرة الحديثة للأسطورة الأدبية تقوم على مدى ما فيها من معاناة لما يدور في الحياة بكل ظروفها الاجتماعية والتاريخية، وما في حياة الإنسان من أحاسيس تترجم الواقع والأحداث التي يعيشها في كنف واقعه العام بما يساير العصر من مفاهيم متحكمة في مجريات الحياة، وما يتواجد فيها من صور أو تصورات مثلى للنموذج الذي يتوخاه الإنسان، ويستخدمه الأديب الحداثي للتعبير عن هذا الإنسان.

النتيجة الرابعة. أصبحت الأسطورة الأدبية تتجلى في تعميق المفاهيم الإنسانية وقضاياها بعناصر أسطورية، وتؤكد ارتباط الأديب بالحضارات الإنسانية متصلة مع بيئته ومجتمعه؛ لتعكس الصورة الحقيقية للأصالة وما لها من ماض عريق ينبض بالحركة الدؤوب التي ترتبط بالأديب لتلهمه وتؤهله للتعبير عما يؤمن به، وعما يجيش في نفسه من انفعالات وأحاسيس وما يغمر فكره من أفكار. إذ تعتمد الأسطورة الأدبية على الفكر ولا تقيم وزنا لما هو بعيد عنها، والعناصر الأسطورية وما يحوم حولها من شخصيات أسطورية هي ضرب من ضروب النماذج في فهم الحياة تدعوا إلى الدراسة والتأمل، تعد معنى من معاني تكيف الواقع مع الماضي، وتعطي دافع لأديب لابتكار الأفكار الفاعلة في هذا الواقع، حيث لا تكفي فيها النظرة الخاطفة؛ لأنها جهد يقوم على الدقة المتناهية بكل ما يشملها من أبعد تفصيلية تضفي على النص الأدبي حيوية ، فضلا عما تتطلبه العملية الإبداعية من مقارنة واستنباط وتطور وتجديد.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، 1995، ***المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر***، ت. أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ج2، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، مصر.

أبو بكري، راضية، 2007،" ***الأدب والأسطورة***" ، أعمال ملتقى الأدب والأسطورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.

أبو شعر، رشيد، 1983،" ***أثر بروتلد بريخت في مسرح المشرق العربي***"، اطروحة الدكتوراه، كلية الآداب، جامعة دمشق، سوريا.

أبو علي، رجاء، 1994، ***الأسطورة في شعر أدونيس***، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، دمشق، سوريا.

أبوغالي، مختار علي، 2006، ***الأسطورة المحورية في الشعر العربي المعاصر***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الترقيم الدولي 2- 5837-01-977، القاهرة، مصر.

إسماعيل، عز الدين، 1974، ***الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة***، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، مصر.

إطيمش، محسن، 1982، ***دير الملاك، دراسة نقدية للظواهر الفنية والموضوعية في الشعر العراقي المعاصر***، دار الرشيد للنشر، العراق.

بارت، رولان، 1994، ***الأساطير"سحر الرمز والأسطورة"***، ترجمة عبد الهادي عبد الرحمن، دار الحوار للنشر، دمشق، سوريا.

البستاني، صبحي، 1986، ***الصورة الشعرية في الكتابة الفنية،الأصول والفروع***، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، لبنان.

البياتي، عبد الوهاب، 1968، ***تجربتي الشعرية***، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان.

الجندي، محمد، 1995،" ***الأسطورة***"، مجلة المعرفة، العدد 380، دمشق، سوريا.

الجوزو، مصطفى، 1980، ***من الأساطير العربية والخرافات***، دار الطليعة، ط2، بيروت، لبنان.

جينيت، جيرار، 2000، ***خطاب الحكي الجديد***، ترجمة، محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب.

حاتم، عماد، 1988، ***أساطير اليونان***، الدار العربية للكتاب، طرابلس، لبنان.

الحجاجي، أحمد شمس الدين، 1984، ***الأسطورة والشعر العربي، المكونات الأولى***، مجلة فصول. المجلد 4، العدد، 2، الهيئة المصرية للكتاب، مصر.

الحجموي، عبد الفتاح، 1996، ***عتبات النص البنية والدلالة***، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، المغرب.

حلاوي، يوسف، 1994، ***الأسطورة في الشعر العربي المعاصر***، دار الآداب، ط1، بيروت، لبنان.

حمود، محمد العبد، 1986، ***الحداثة في الشعر العربي المعاصر، بيانها ومظاهرها***، دار الكتاب اللبناني، الشركة العالمية للكتاب، ط1، بيروت، لبنان.

خليفي، شعيب، 2002، ***الرحلة في الأدب العربي، التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل***، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر.

الخطيب، عماد علي، 2006، ***الأسطورة معياراً نقدياً***، جهينة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

داود، أنس، 1992، ***الأسطورة في الشعر العربي الحديث***، دار المعارف، ط3، القاهرة، مصر.

راثفن، ك. ك، 1981، ***الأسطورة***، ترجمة، جعفر صادق الخليلي، منشورات عويدات، ط1، بيروت، لبنان.

رايتر، وليم، 1992، ***الأسطورة والأدب***، ترجمة، صبار السعدون، مراجعة سلمان الواسطي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق.

ربابعة، موسى، 2008، ***جماليات الأسلوب التلقي***، دراسة تطبيقية، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن.

الربيعي، علي محمد هادي، 2012، ***الخيال، في الفلسفة والأدب والمسرح***، دارصفاء للنشر والتوزيع، بابل، العراق.

زايد، علي عشرى، 2005، ***استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر***، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الترقيم الدولي 6-873-215-977، القاهرة، مصر.

زكي، أحمد كمال، 1979، ***الأساطير***، دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، ط2، بيروت، لبنان.

السامرائي، ماجد، 1995، ***تجليات الحداثة، قراءة في الإبداع العربي المعاصر***، دار الأهالي للنشر، ط1، دمشق، سوريا.

سعيد، خالدة، 1982، ***حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث***، دار العودة للنشر، ط2، بيروت، لبنان.

سمارة، رانية، 1996، ***الأسطورة والأدب***، مجلة المدى، العدد 12.

شاهين، محمد، 1996، ***الأدب والأسطورة***، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان.

شربل، داغر، 1988، ***الشعرية العربية الحديثة، تحليل نص***، دار توبقال للنشر، بيروت، لبنان.

شكري، غالي، 1991، ***شعرنا الحديث إلى أين؟*** دار الشروق، ط1، القاهرة، مصر.

صالح، نضال، 2010، ***النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة***، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، قسنطينة، الجزائر.

طه، محمود علي، 2012، ***أرواح وأشباح. الأعمال الشعرية الكاملة***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

عبد الحميد، شاكر، 1992، ***الأسس النفسية للإبداع الأدبي***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الترقيم الدولي5-3088-01-977، القاهرة، مصر.

عبد الرحمن، عائشة، 1970، ***تراثنا بين ماض وحاضر***، دار المعارف للنشر، القاهرة، مصر.

عبد الصبور، صلاح، 1992، ***حياتي في الشعر***، دار اقرأ للنشر، بيروت، لبنان.

عثمان، اعتدال، 1988، ***إضاءة النص، قراءة في شعر أدونيس وشعراء آخرون***، دار العودة للنشر، بيروت، لبنان.

عجينة، محمد، 1994، ***أساطير العرب عند الجاهلية***، دار الفارابي، ط1، بيروت، لبنان.

عزيز، كارم محمود، 2002، ***الأسطورة فجر الإبداع الإنساني***، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر.

علي، عبد الرضا، 1984، ***الأسطورة في شعر السياب***، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، لبنان.

عياد، شكري، 1971، ***البطل في الأدب والأساطير***، دار المعرفة للنشر، ط2، القاهرة، مصر.

الغزالي، السيد، 1985، ***الأدب المقارن منهجا وتطبيقا***، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

فتح الباب، حسن، 2007، ***سمات الحداثة في الشعر العربي المعاصر***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، مصر.

الكومي، محمد شبل، 2004، ***المذاهب النقدية الحديثة، مدخل فلسفي***، تقديم: محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

الكوني، إبراهيم، 1998، ***ديوان النثر البري، أساطير***، دار الكتب الوطنية، ط2، بنغازي، ليبيا.

لوسيف، ألكسي، 2005، ***فلسفة الأسطورة***، ترجمة: منذر حلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية ، سوريا.

المرزوقي، سمير؛ وجميل شاكر، 1986، ***مدخل إلى نظريات القصة***، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق.

المصطفى، سلام، 2006، ***اشتغال المتخيل الأسطوري في الرواية المغاربية***"، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المغرب.

منصور، أنيس، 2009، ***أرواح وأشباح***، دار الشروق، ط3.

مهدي، سامي، 1988، ***أفق الحداثة وحداثة النمط***، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق.

ناصف، مصطفى، 1978، ***قراءة ثانية في شعرنا القديم***، دار الأندلس للنشر، بيروت، لبنان.

هلال، محمد غنيمي، 1986، ***النقد الأدبي الحديث***، دار العودة للنشر، ط1، بيروت، لبنان.

يقطين، سعيد، 2005، ***من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي***، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب.

يوسف، مي أحمد، 2011، ***جماليات السرديات التراثية***، دراسة تطبيقية في السرد العربي القديم. دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.